حديث مع العالم المسلم

الأستاذ عادل صلاحي

بقلم التحرير

هذا حديث أجريناه مع العالم المسلم ، الكاتب الداعية المترجم ، الأستاذ عادل صلاحي عن رحلته الطويلة في التأليف والترجمة والعمل الدؤوب لتعريف المسلمين وغير المسلمين بالإسلام ، وتيسير وصوله إليهم بصفائه ونقائه ، بأسلوب مبسط سهل .

رحلة طويلة تلك التي قطعها محدثنا ، لعلها تطوي أكثر من أربعين عاماً . بدأت في دمشق في أوائل الستينات من القرن الماضي . لعل محورها الأساسي هو عرض الإسلام في أسلوب حديث مبسط ، ينأى عن الجدل ، ويحرص على الربط بين الفكرة والحكم الشرعي من جهة ، وواقع الناس من جهة أخرى . بدأ عمله الأول مذيعاً في إذاعة دمشق عام ١٩٦٢م ، وكان في الوقت نفسه يترجم مقالات سياسية لصحيفة اللواء . وترك العمل الإعلامي بشقيه الإذاعي والصحفي أثراً واضحاً في حياته كلها ، فلم يتخل عن هذا العمل رغم الفرص المغرية التي عرضت في أوقات مختلفة . لكن كيف ارتبط هذا العمل الإعلامي بعرض الإسلام ؟

{ الفضل في هذا لله ﷻ ، فهو الذي يهيئ الظروف المناسبة ، ويفتح الأبواب المغلقة . وما علينا إلا أن نبذل الجهد في الاستفادة مما هو ميسور أمامنا من ظروف ومناسبات . إذ لم تمض أسابيع قليلة على بدء عملي في الإذاعة عندما

أسند منصب مدير البرامج إلى رجل كان يحرص على إعطاء الشباب الفرصة لإثبات الموهبة . فتقدمت بفكرة تقديم السيرة النبوية في قالب تمثيلي خلال شهر رمضان الذي كان على الأبواب ، فوافق على الفور ، جزاه الله خيراً ، بالرغم من أنه كان يختلف عنا في الاتجاه الفكري . وطلب مني كتابة الحلقات الأولى . كان ذلك مفاجأة بالنسبة لي إذ كنت إنما أعرض فكرة ، ولم أكن أتصور أنني سأكون مسؤولاً عن تنفيذها ، فخبرتي في العمل الإذاعي لم تكن تزيد على بضعة أسابيع . وتلاحقت الأمور بسرعة فخصص زاوية يومية طوال شهر رمضان للبرنامج ، ثم لم تمض على بدء إذاعته أيام قليلة حتى قرر إذاعته مرتين يومياً ، وكان هذا أبعد مما كنت أحلم به } .

لم يستمر العمل في دمشق طويلاً ، إذ سافر محدثنا إلى بريطانيا عام ١٩٦٤م لمتابعة الدراسة ، وحصل على دبلوم عال ثم ماجستير في اللغة الإنكليزية وآدابها . والتقى في بريطانيا بالكثيرين من المسلمين الذين تباعدت أوطانهم ، وتباينت عاداتهم وممارساتهم . لكنهم جميعاً يلتقون على الإسلام ويستقون من قيمه وأدبه وأخلاقياته التي تأصلت في مجتمعاتهم فأصبحوا يتوارثونها جيلاً بعد جيل .

{ لكن القاسم المشترك الأعظم بينهم كان الجهل بمبادئ الإسلام وعقيدته وأصوله ، بل وحتى بشعائره وعباداته . لا شك أنهم مؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر ، وكثيرون منهم يحافظون على صلاتهم ويصومون ويحجون . لكنهم يفتقرون إلى الفهم الصحيح لهذا الدين الذي يرفع الإنسان إلى مستوى علوي من الحضارة والرقي لا يمكن أن يتحقق بأي منهج آخر في الحياة } .

وبما أن اللغة الإنكليزية هي القاسم المشترك الآخر بين هؤلاء فقد أصبح لزاماً أن تتوافر الكتب والمعلومات التي تعطي صورة متكاملة عن الإسلام وعباداته ومبادئه وعقائده . { وبما أن الله ﷻ قد منَّ عليَّ بمعرفة اللغة الإنجليزية والكتابة بها ، والترجمة منها وإليها ، فإن عليّ دوراً لا بد أن أسهم به } .

واليوم بعد أكثر من أربعين عاماً على تقديم السيرة في إذاعة دمشق ، ما هي

حصيلة هذا الدور ؟

{ كتاب في السيرة النبوية ، وترجمة أكثر من ثلثي كتاب " في ظلال القرآن " للشهيد سيد قطب ، وترجمة كتاب " النبأ العظيم " للدكتور عبد الله دراز ، وترجمة جديدة لكتاب " تعريف عام بدين الإسلام " للشيخ علي الطنطاوي ، وترجمة لكتاب " الفقه الإسلامي في طريق التجديد " للدكتور محمد سليم العوا ، وكتاب عن أئمة المذاهب الإسلامية المتبوعة ، وأشياء كثيرة أخرى يمكن أن نفصل فيها } .

كتاب السيرة النبوية صدر أول مرة عام ١٩٩٥م بعنوان " Muhammad: Man and Prophet " أو " محمد : النبي والإنسان " ، وقد طبع عدة طبعات ، وطبعته الأخيرة في ٨٣٠ صفحة صدرت عن المؤسسة الإسلامية في إنكلترا . وهو يعتمد على أوثق المصادر في السيرة مثل ابن هشام والواقدي ، وابن سيد الناس ، وابن كثير وابن القيم من القدماء ، والغزالي والندوي وأمين دويدار من المحدَثين ، دون أن يكون ترجمة أو نقلاً لأي من هؤلاء . ولا يخوض في أراجيف المبطلين ولا شكوك المستشرقين . ولا يكتفي برواية أحداث السيرة النبوية العطرة ، ولكنه يحللها ويسبر أغوارها ويأخذ منها دروساً لا بد للمسلمين اليوم أن يفهموها وهم يتعاملون مع واقعهم وحاضرهم .

ترى هل يقدم كتاب السيرة جديداً في السيرة النبوية ذاتها ؟

{ لقد حرصت على أن تكون أحداث السيرة مفهومة للقارئ رغم تباعد الزمان ، وتباين المجتمعات . كيف يمكن للفتاة المسلمة التي ولدت ونشأت في بريطانيا أن تفهم أحداثاً وقعت في المجتمع القبلي في مكة قبل أربعة عشر قرناً ؟ وكيف نقدم صورة المجتمع الجديد الذي بناه رسول الله ﷺ في المدينة متجاوزاً كل الولاءات القديمة ؟ لا بد من نظرة جديدة إلى أحداث السيرة تتعرف على مصدر النور الذي يشع ليضيء لنا الطريق اليوم . في الوقت الذي نتعامل فيه مع واقع مجتمعاتنا . إن التزام الأسوة الحسنة في سيرة رسول الله ﷺ لا يفرض علينا هدم شيء في

المجتمع الحديث إلا ما كان مخالفاً لعقيدة الإسلام وشريعته ، ولكنه يفرض علينا أن نهتدي بهدي رسول الله ﷺ ، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا إذا توافر الفهم الصحيح .

غير أني أعتز بالطريقة التي قدمت فيها موضوعين اثنين في السيرة . أولهما المفاوضات التي كانت تتم بين رسول الله ﷺ والمشركين . فقد تلمست فيها خطاً متسلسلاً ، نلمح فيه تصعيداً مستمراً في موقف المشركين ، وثباتاً واضحاً في موقف رسول الله ﷺ . أما الموضوع الآخر فهو هجرة الحبشة التي تصورها معظم كتب السيرة على أنها هجرة مستضعفين يفرون بدينهم ، بينما تناولتها على أنها الخطوة السياسية الجوهرية الأولى التي اتخذها رسول الله ﷺ ، توسع أبعاد دائرة الدعوة إلى الله ، وتؤكد عالمية دعوة الإسلام ، وتنشئ قاعدة ترفد المركز الأساسي للدعوة ، والأدلة التي تؤكد هذه النظرة كثيرة وواضحة } .

أما كتاب أئمة المذاهب فيقدم تعريفاً بكل واحد من الأئمة وحياته ونشأته وعلمه ، محاولاً أن يتبين صورة العالم الذي نذر نفسه لهذا العلم الشريف ، ويجمع إلى ذلك تعريفاً مبسطاً بفقهه ومدرسته . وهو يقدم أحد عشر عالماً من كبار علماء الإسلام ، وهم : أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل وابن حزم ، وزيد بن علي وجعفر الصادق ، وعبد الله بن إباض وجابر بن زيد . وهؤلاء هم الذين أنشؤوا المذاهب الإسلامية الثمانية التي لا زالت متبعة في عالمنا الإسلامي . ويضيف إليهم ابن تيميه والعز بن عبد السلام .

{ وإذا كان تقديم أئمة المذاهب يهدف أساساً إلى التعريف بهم ، وإزالة النظرة الضيقة إلى المذهبية التي ورثناها عن عصور التخلف والانحطاط ، فإنه يظهر مدى التواصل والترابط بين علماء المسلمين ، وسعة مجال الحرية الفكرية التي هي طابع المجتمع الإسلامي . أما ابن تيميه والعز بن عبد السلام فهما إمامان عظيمان يجدر بكل مسلم أن يعرف سيرتهما وفقههما . فابن تيميه يمثل صورة الإمام المجتهد الذي يمكن أن يخالف أئمة المذاهب الكبرى في بعض اجتهاداتهم ،

دون أن يخرج عن دائرة مذهبه . والعز بن عبد السلام يعطينا صورة العالم المجاهد الذي كان له الدور الأكبر في إنقاذ الإسلام من إعصار التتار وجحافل الصليبيين . لقد تعطل صدور الكتاب بسبب خارج عن إرادتي ، ولكنه جاهز للطبع وأرجو أن يكون بين أيدي القراء قريباً } .

كانت الترجمة جزءاً أساسياً في إنتاج محدثنا ، تعطي حصيلة متنوعة . وطبيعي أن يكون للقرآن منها النصيب الأوفى . ولعل من أهم ما يحتاجه المسلم غير العربي هو ما يعطيه الاطمئنان الكامل إلى أن القرآن كتاب الله تعالى . فهو غالباً ما يقرؤه دون فهم ، وإذا بحث عن معانيه فإنه يطالعها في ترجمات متفاوتة المستوى لا تخلو من أخطاء . كان هذا هو الدافع إلى ترجمة كتاب '' النبأ العظيم '' للدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله . فهو كتاب نفيس لا يكاد يساميه كتاب آخر في موضوعه ، الذي يمكن أن نسميه '' ربانية القرآن '' . وقد صدر الكتاب قبل أربع سنوات ، لكن الصعوبة الكبرى كانت في اختيار عنوان له . وقد انتهينا بعد شهور من التفكير والمحاورة والاستشارة إلى إعطائه اسماً جديداً هو : '' The Qur´an: An Eternal Challenge '' ومعناه هو '' القرآن : التحدي الأبدي '' مع إضافة الاسم العربي لسهولة التمييز .

أما كتاب الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله '' تعريف عام بدين الإسلام '' فهو ومؤلفه غنيان عن التعريف . ومع أن الكتاب قد ترجم ونشر من قبل ، فهذه ترجمة جديدة له ، لعلها أقرب إلى الوفاء بحق الكتاب من الترجمة القديمة . ومع أنها اكتملت قبل سنوات ، إلا أنها ضاعت لمدة طويلة بين المترجم والناشر . وقد تمّ العثور عليها من قريب ، وستنشر قريباً بإذن الله .

وأما كتاب '' الفقه الإسلامي في طريق التجديد '' للدكتور محمد العوا فيتناول عدداً من القضايا الفقهية الهامة ، ويبحثها من منطلق فقهي ونظرة معاصرة . ومن أهم هذه الموضوعات ، الحرية السياسية ، والشورى ، والمرأة ، وجرائم الحدود ، وحقوق الإنسان ، والعلاقة مع المجتمعات الأخرى ، والتأمين ،

ومشكلات الصحة . وترجمة هذا الكتاب إنما تهدف إلى إعطاء صورة لحيوية الفقه الإسلامي ، وكيفية تعامله مع قضايا المجتمع في كل عصر ، وفي كل بيئة ، لكن هذا الكتاب لم ينشر بعد .

يبقى العمل الأكبر في هذه الترجمات وهو كتاب " في ظلال القرآن " للشهيد سيد قطب ، الذي صدر منه حتى الآن أحد عشر جزءاً واكتملت ترجمة جزئين آخرين ، أصبحا الآن في طريقهما إلى النشر . ويستغرق ما اكتمل حتى اليوم من أول القرآن إلى آخر سورة الفرقان ، بالإضافة إلى الجزء الثلاثين من المصحف . والمقرر أن يكتمل الكتاب في ثمانية عشر جزءاً . إذا اعتمد في التقسيم أن تكون الأجزاء متقاربة في الحجم ، وأن لا تقسم السورة الواحدة في أكثر من جزء . والمتوقع بإذن الله أن يكون الفراغ من ترجمة الأجزاء الباقية مع نهاية عام ٢٠٠٦م – إن شاء الله – .

هل يحتاج أحد أن يعرف لماذا نختار " في ظلال القرآن " للترجمة مقدماً على سائر التفاسير ؟ الجواب في كلمة صغيرة وهو : « لأنه كتاب دعوة إلى الله من خلال التفسير » ، ولأنه يعرض الحقائق القرآنية في أسلوب يقربها إلى فكر القارئ وقلبه وجوارحه ، كي يتفاعل معها ويحسها ويطبقها في حياته ، ولأنه ينأى عن الأمور الخلافية والجدلية ، ويلتزم الحجة القرآنية لا يخالفها ولا يخرج عنها .

{ ثم هل هنالك أبلغ في الرد على الحملة الظالمة التي تُشَنُّ اليوم على مؤلف الظلال ، من أن نقدم فكره كما هو باللغة التي يقرؤها اليوم أكثر أهل الأرض ؟ إن جهات عدة تحاول اليوم أن تلصق العنف والإرهاب بالإسلام . وفي السنوات الأخيرة حاولت هذه الجهات أن توجد قاعدة فكرية وفلسفية لما تسميه ظلماً وزوراً الإرهاب الإسلامي ، فربطته بسيد قطب رحمه الله ، وهو منه بريء . فقد كرس حياته وفكره ليؤكد أهمية التربية الإسلامية الصحيحة ، ولتكوين جيل يفهم القرآن ويعي معانيه ، ويترجمها في الحياة العملية فيبني المجتمع الصالح الذي يطبق الإسلام ، ويدعو له ، ويحترم الإنسان ، ويؤمن بحرية العقيدة . أما

استعجال الخطوات ، واستخدام القوة لفرض الإسلام عنوة فتلك أمور بعيدة كل البعد عن فكر سيد قطب } .

عندما استعرضنا حصيلة الرحلة ذكرنا أن هناك أشياء أخرى كثيرة . لعل أبرزها هو نتاج ردود محدثنا على أسئلة قرائه في الصحيفة السعودية " عرب نيوز " . فهو يكتب ويحرر زاوية إسلامية تنشر يومي الأثنين والجمعة من كل أسبوع . هذه الزاوية بدأت عام ١٩٨١م ولا تزال مستمرة بفضل الله . يحمل إليه بريدها أسئلة كثيرة ومتنوعة ، فيجيب عليها إجابات تسعى إلى إفهام القارئ الحكمة في النظرة الإسلامية إلى موضوع السؤال . وقد قام بعض أهل الخير في باكستان بجمع هذه الإجابات ، ونشروها في أربعة مجلدات كبيرة توزع مجاناً ، ثم زادوا على ذلك فنشروا ترجمة مختصرة لها باللغتين الأردية والسندية ، في مجلدين لكل لغة . وخصصوا لها موضعاً على الإنترنت وهو " www.ourdialogue.com " ، وهي مبوبة حسب موضوعاتها .

ثم هنالك شرح لأحاديث كتاب " الأدب المفرد " للإمام البخاري . وهذا العمل يتألف من حوالي ثلاثمائة مقالة كلها نشرت في صحيفة " عرب نيوز " ، غير أنها تنتظر توفير وقت يكفي لمراجعتها وتبويبها ، لتنشر في كتاب إن شاء الله .

وبالإضافة إلى هذا ، { كتبت ترجمة لمجموعة من أعلام المحدثين ، بدءاً من الزهري وشعبة بن الحجاج ويحيى بن معين إلى الأئمة أصحاب الصحاح الستة ، ثم تستمر فتأخذ بعض أبرز المحدثين في القرون التالية ، وسأجمعها في كتاب مستقل إن شاء الله تعالى } .

{ أما بالنسبة لمشروعات المستقبل فهناك مشروعان أرجو أن يوفقني الله تعالى إلى إنجازهما ، أولهما ترجمة كتاب " تحرير المرأة في عصر الرسالة " ، لعبد الحليم أبو شقة رحمه الله . والثاني هو ما بدأته فعلاً في صحيفة " عرب نيوز " وهو تصوير الجوانب المختلفة لشخصية رسول الله ﷺ ، واعتمادي الأول في هذا هو كتاب " الأنوار في شمائل النبي المختار " للإمام البغوي . وأرجو أن يكتمل هذا العمل في كتاب يشكل القسم الثاني من كتاب السيرة النبوية – إن شاء الله – } .